

ذكرى وعبرة

يكثر الحديث في هذه الايام عن اتفاق الطائف المشؤوم فنقرأ تعليقات وندوات جاء في أكثرها انه اتفاق اذعان ولن تُكتب له الحياة مهما حاولوا ضبطه بالمسكنات وحقنه بالجرعات الانتعاشية لأنه نتج عن ارادة غريبة وليس عن ارادة الشعب اللبناني وحصل على أرض غير الأرض اللبنانية.

والعودة الى المواقف التي اتخذها القائد العماد ميشال عون والشعب اللبناني والمواقف التي أقدم عليها النواب النوائب آنذاك مفيدة جداً بعد تسع سنوات اذ تبين مصداقية القائد والشعب وخيانة النواب الطائف منطقة إصطياف سعودية، يؤمها الامراء والميسورون أثناء فترة الحر الحارقة. ماضيها، لطفة سوداء في سيرة الإسلام. وحاضرها، وصمة عار في تاريخ لبنان. أهلها خانوا النبي محمد منذ خمسة عشر قرناً. وفيها أيضاً باع نواب لبنان سيادة الوطن واستقلاله، وقدموه هدية للمحتل.

في ٣٠ ايلول، «شحن» ٦٣ نائماً الى الطائف بغية التخلص من حرارة التحرير الشعبية، ومن رياح الحرية التي استعادت وهجها في نفوس الذين كانوا مقهورين ومغلوباً على أمرهم. أنزلوهم في أفخم فندق حيث الهيئة الأميركية حائلة، والضيافة السعودية سخية والمطالب السورية مضمونة، والبركة الطيركية حاصلة، والباركة القوائبة متواصلة، والشيكات «الحريرية» جاهزة... اذاً، كل شيء هناك كان وثيراً، مريحاً، شهياً، مفرحاً مطمئناً، ألا الكرامة فكانت منحورة في عقول نواب نكروا جميل من بقي حياً من ناخبهم وتنكروا لمطالبهم، وحلّوا لنفوسهم تفرغ الوطن من مقوماته المقدسة مقابل ملاء جيوبهم وتفخها بالهدايا الثمينة والثروات الحرزانة.

عند وصولهم الى الطائف طلب منهم تسليم جوازاتهم، فاكشفوا انهم محجوزون وعليهم الموافقة على مشروع جاهر وغير قابل لأي تعديل. حاولوا انقاذ ماء الوجه، فاعتمدوا المماطلة وانكبوا على دراسة المشروع لمدة ثلاثة اسابيع. لكن التهديد جاءهم على لسان وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل. عندئذ وافقوا عليه بالأغلبية الساحقة معتبرين فعلتهم بطولة قل من يجرؤ على القيام بها.

كان الشعب رافضاً ذهاب النواب الى الطائف. وكان احساسه بأنهم سينتازلون عن السيادة والاستقلال. التقى وفد من المتظاهرين الجنرال، ونقل اليه رأي الشعب وقاتحه بموضوع السماح للنواب بالذهاب الى الطائف فكان جوابه: «من غير المعقول أن نشن حرباً ضد الظلم والقهر والديكتاتورية وحز الحرية وتنصرف بعكس ذلك. ولو منعتهم بالقوة من الذهاب الى الطائف - وكان بوسعي ان افعل ذلك - لكان بعضكم اليوم يتظاهر ضدي ويحسبني ديكتاتورياً».

تأكدوا على معارضة وثيقة «الطائف» ومقريها، واطهاراً لحقيقة الموقف الشعبي وابراراً لنوابه وطروحاته، دعا المكتب المركزي للتنسيق الوطني الشعب اللبناني الى المشاركة بمهرجان «يوم الحرية» على مصب نهر الكلب. اختير نهر الكلب مكاناً، لم يكن ذلك صدفة، بل اختير لأنه الشاهد الحي على أن كل الغزاة رحلوا تاركين وراءهم لوحات تذكارية وبقي لبنان، ولأنه الإثبات على ان القلة صمدت وأكثره رحلت، وأن الصغار وقفوا بوجه الكبار، ولأنه الدليل على أن الحرية فعل استشهاد دائم ونضال مستمر منذ سبعة آلاف سنة، وهي مقدسة بالنسبة للبنانيين.

كان المهرجان حاشداً، وقد شاركت فيه وفود من كل لبنان. افتتح باسم «شهداء لبنان». ثم قرعت الطبول وعُرف لحن الموت، فالنشيد اللبناني، بينما أضاء احد الاطفال مشعل الحرية.

أجمع الخطباء والمغنون على وحدة لبنان السيد الجر المستقل وعلى التحرير، وحضوا اللبنانيين على الثورة ضد الاحتلال والمستزلمين والمرتهنين والحوثة. وقد بثت اثناء المهرجان كلمة مسجلة من العماد عون ركز فيها على أن مصلحة الوطن العليا هي فوق كل المصالح. وحث اللبنانيين على متابعة النضال من اجل تحقيق الاهداف. كما حدد التيار الشعبي مفاهيمه فأعلن قائلاً:

«نحن شباب الثورة لا الثأر

نحن نيار الغضب لا البغض

نحن شعب السلام لا الاستسلام».

خلال وجودهم في الطائف، كان بعضهم على اتصال بالعماد عون، إما مباشرة وإما بالواسطة. وكان جوابه لكل متصل تنفيذ ما اتفقنا عليه في اجتماعنا الأخير في قصر بعيداً.

في العاشر من تشرين الاول سنة ١٩٨٩، وجه الجنرال ميشال عون نداء الى النواب في الطائف للعودة الى لبنان، وكرر اكثر من مرة. وفي العشرين من الشهر ذاته، أعلن رفضه لاتفاق الطائف، وفي الثالث والعشرين منه وخلال مؤتمر صحفي، مد يديه في اتجاهين مختلفين متوجهاً للشعب قائلاً: «الطائف بميل وأنا بميل وعليكن تختاروا. اذا اخترتم الطائف يستقبل فوراً ويقبل ع بيتي، واذا رفضنوه يبقى ومتكفي النضال سوا». ردة فعل الشعب كانت فورية وضد الطائف. وقد أمت بيت الشعب في بعدا مظاهرات متتالية تجاوز بعضها الـ ٥٠٠ الف متظاهر.